

الحادثة التاريخية بين التأويل الميتافيزيقي والتأويل المادي والعقلي

الدكتور / إدريس بن مصطفى

قسم العلوم الإنسانية

جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة

الجزائر

Abstract :

In the view of Honshu that history is the code of the old ages, writers Al-hafez telling it to, Oahu anecdotal codification of world events all or some of them, and Ibn Khaldoun that)) art stop us on the conditions of the past two years the United in morals and the prophets in their curriculum vitae kings in their countries and their policy until it is useful to follow the example of the those يرومه in conditions of religion and in that army pragmatic history which is intended to take lessons and experience.

Either as of contemporary Italian. bindito kurush. The date is the date of the present, we manifestation not really want from the study of the history of non-recognition of the framework in which we live and knowledge of its assets, that time seems to be too rigid and consistent unless beset by events produced by the mobility of rights in his struggle with nature or with the sons of sex, time is meaningless without historic events or without the presence of human rights within this time.

المقدمة:

يرى هونشو بأن التاريخ هو مدونة العصور الخوالي وكتابها الحافظ لأخبارها، أو هو التدوين القصصي لمجرى الأحداث العالمية كلها أو بعضها، ويعرفه ابن خلدون¹ بأنه "فن يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا" وفي ذلك إشارة إلى التاريخ البراغماتي الذي يقصد منه أخذ العبرة والتجربة.

أما حسب المؤرخ الايطالي المعاصر - بينديتو كروش - فإن التاريخ كله هو تاريخ الحاضر، فنحن حسبه لا نبغي حقا من دراسة التاريخ غير التعرف على الإطار الذي نعيش فيه ومعرفة أصوله²، إن الزمن يبدو جامدا وثابتا ما لم تكنفه أحداث ينتجها حراك الإنسان في صراعه مع الطبيعة أو مع أبناء جنسه، فالزمن لا معنى له بلا أحداث تاريخية أو دون وجود الإنسان داخل هذا الزمن، وكأني بتلك الأحداث علامات وضعت على جانبي الطريق الذي يتمثل في الزمن فأصبحت مفاصل ومعالم تعطي له معنى، لكن السؤال الذي طرح نفسه بالباحث على الفلاسفة وبعض رجال الدين هو هل أن الإنسان هو صانع تاريخه بلا منازع أم أن الطبيعة هي التي توجهه في ذلك أم أن التاريخ نتاج مشترك لإرادة الإنسان والطبيعة معا؟

يدرك الجميع بأن التاريخ هو سرد للأحداث في سياقها الزمني، لكننا إذا تأملنا في الموضوع جيدا أدركنا بأن كل حادثة تاريخية تحمل معنيين: الأول يتمثل في أحداث التاريخ ذاتها والتي وقعت في الماضي، والمعنى الثاني ويتمثل في رواية الناس أو المؤرخ لها، فمهما كان نقل المؤرخ للحادثة التاريخية موضوعيا بعيدا عن المبالغة أو الذاتية إلا أنه وعبر الزمن ظهرت

اتجاهات عديدة حاولت إخراج التاريخ من عقمه بمحاولة معرفة العوامل الأساسية المتحركة في سير وقائعه واستخلاص القوانين العامة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر الزمن، فظهرت فلسفة التاريخ القائمة على مقولة أو مبدا العلية أو السببية التي يلجأ معها الفيلسوف إلى اختصار الأسباب والعلل ليفسر على ضوءها التاريخ العالمي، فذهب البعض إلى تفسيرها تفسيراً لاهوتياً ميتافيزيقياً وآخرون ذهبوا إلى تفسيرها تفسيراً عقلياً وطرف آخر فسرها تفسيراً مادياً اقتصادياً بينما حاول آخرون أو توصلوا إلى التوفيق بين اتجاهات متناقضة في تأويل الحادثة التاريخية.

أ-التأويل اللاهوتي الديني:

ويتزعم هذا الاتجاه ويكاد ينفرد به القديس أوغسطين عبر ما عرف بنظرية العناية الإلهية أو التخطيط الإلهي وهو يري من خلالها بأن الله هو الذي يسير التاريخ أو يصنعه بما يصيب به الناس من خير وشر مستدلاً في ذلك على ما أصاب روما من خراب ودمار نتيجة لتردي الأخلاق، وهذا ما يتوافق مع العقيدة الإسلامية "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة"³ أي أنه يُعْمُ بِهَا الْمُسِيءَ وَغَيْرُهُ، لَا يَخْصُ بِهَا أَهْلَ الْمَعَاصِي وَلَا مَنْ بَاشَرَ الذُّنْبَ، بَلْ يَعْمُهُمَا، حَيْثُ لَمْ تُدْفَعْ وَتُرْفَعْ. ومفاد نظرية أوغسطين أن التاريخ مسرحية ألّفها الله ويمثلها البشر- وفي نفس الوقت فهي تنفي العشوائية والمصادفة في الأحداث التاريخية لأنها لا تعني إلا الفوضى والعبث⁴ وبالتالي فالإيمان بالنظرية يستوجب الإيمان بالله، وما دام الإنسان جزءاً من هذا الكون فيسري عليه ما يسري على باقي أجزائه، فالشمس والقمر وباقي الأجرام السماوية تخضع لنظام دقيق وضعه الله، ومن ثم فالكون-الطبيعة- مظهر لقدرة الله، والإنسان مظهر

لعنايته، ولو أن بني إسرائيل حصروا تلك العناية فيهم باعتبارهم شعب الله المختار وأن الإله - يهوه- يتدخل في وقائع التاريخ من أجلهم وبذلك فأحداث التاريخ تتخذ مسارا مستقيما لتستكمل غرضه وهو العودة بهم إلى أرض الميعاد⁵.

إن مفهوم العناية الإلهية قدم جدا فقد ظهر في معظم الحضارات القديمة مثل المصرية والبابلية والآشورية والأكدية ثم اليونانية، أي أنها لم ترتبط بديانة معينة لكنها اتخذت طابعا مسيحيا بعد ظهور المسيحية فتبلورت لدى أكبر فلاسفة اللاهوت المسيحي -سان أوغسطين- الذي نصّب نفسه مدافعا عنها في وقت أوشكت فيه الإمبراطورية الرومانية على الأفول وانتشار أفكار معادية للمسيحية ترى بأنها سبب رئيس في انحلال الدولة وضعفها⁶.

إن التأويل الميتافيزيقي للأحداث التاريخية يتنافى ويتعارض تماما مع فكرة التعاقب الدوري للحضارات التي يعتبر ابن خلدون عبد الرحمن من أهم من نظروا لها بدعوى أن الحوادث لا تتكرر لأن أهم حادثة في التاريخ حسب اللاهوت المسيحي هي حادثة صلب المسيح وهي حادثة لن تكرر بالطبع ومعها ينتفي القول أو الاعتقاد بها⁷ نعم هناك من يرى بأن التاريخ لا يعيد نفسه ويعادون بذلك أصحاب مقولة ((لا جديد تحت الشمس)) إذ لكل زمن طابع يميزه وخواص تتعلق به لا تتعلق بغيره وأن المجتمع يتجدد باستمرار، فالإنسان القديم - النياندرتال- في نظرهم غير الإنسان الحالي الذي ركب الجو وسير أغوار البحار⁸.

إن نظرية العناية الإلهية تفسر التاريخ كله تفسيرا ميتافيزيقيا لاهوتيا فبخصوص حادثة الطوفان التي تعد معلما تاريخيا في مسار البشرية واعتبرت منطلقا للتأريخ في فترة من تاريخ البشرية على غرار الأحداث التاريخية الكبرى كحادثة نزول آدم إلى الأرض أو صلب المسيح

عيسى أو عام الفيل وغيرها، فهي تفسر في ضوء الخطيئة الأصلية من ناحية بما اقترفه قوم نوح من فساد وظلم وكفر بالله، واكتمال معناها بظهور المسيح من ناحية أخرى أي أن كل ذلك كان حدثاً في مسار التمهيد والتمكين لظهور المسيحية التي تمثل أكمل مظاهر العناية الإلهية⁹.

رغم إحساس كل منا بوجود قوة خفية تراقبنا وتوجهنا أحيانا ورغم وجود فرق إسلامية آمنت بالعناية الإلهية مثل الصوفية التي رأت بأن الإنسان يسير وفق الإرادة الإلهية فنادوا بذلك إلى الاستكانة والخنوع فتعرضوا لانتقادات شديدة من أطراف أخرى ترفض التصوف فكراً وممارسة، والمعتزلة الذين رأوا بأن هناك إرادتان : إرادة إنسانية عبارة عن ميل ورغبة وشوق يحدث للإنسان نحو الفعل عندما يعتقد نفعه، ورأوا بأنه من شروط استقلالية الفعل الإنساني عن إرادة الخالق أن يكون لهذا الإنسان ميل ورغبة في الفعل دون أن يكون ذلك الميل مخلوقاً لله سبحانه وإرادة إلهية لا توجب الفعل الإنساني لأنها حسب اعتقادهم لو أوجبت لأوجبت كل ما تعلقت به وأن حال المريد -الإنسان- يكون المراد مقدوراً له أو مقدوراً لغيره¹⁰ وإخوان الصفا المؤمنين بفكرة المهدية التي تمثل لب عقيدتهم وتقارب عقيدتهم في هذه النقطة مع اليهود في أملهم في أرض الميعاد إلا أنها اتخذت لدى الشيعة الإسماعيلية طابعاً تنجيماً لا تفسيراً للتاريخ، أي أنها لم تأت في سياق عام يفسر المسار والحشيات وإنما اتجهت مباشرة إلى الهدف الذي تؤمن به، إلا أن مفهومها لدى سان أغسطين أيضاً لا يمكن أن يؤمن به غير مسيحي لأنه حصر مفهومها في أصول الإيمان المسيحي¹¹.

إن الكثير من المفكرين والفلاسفة ينتقدون القديس أوغسطين في بعض جوانب نظريته وخاصة حينما يصور ويجعل من البشر قطع شطرنج في لعبة على رقعة الزمان بين الله

والشيطان وحينما يصور بني إسرائيل على أنهم ممثلو الخير أو مدينة الله -city of god- والبقية. في حين نجد البعض يسايره في ما ذهب إليه مثل هيجل الذي يمثل عمودا من أعمدة المدرسة العقلية حينما يقول بأن أحداث العالم لا تترك نخباً للمصادفات والعلل الخارجية وإنما هناك حكمة الهية أو تدبير وعناية إلهية توجه العالم، فكل ما يحدث في العالم يحدث طبقاً لخطة الهية¹².

لقد قدر لهذه النظرية أن تستمر وتسود الفكر الأوروبي لمدة تقارب العشرة قرون إلى أن جاء علماء ومفكرو عصر التنوير الذين انتقدوها بشدة ليخلصوا الشعوب الأوروبية من هيمنة الكنيسة ورجال الدين الذين استغلوا مراكزهم في استغلال تلك الشعوب، ليحييها وينادي إليها الأسقف جاك بوسويه '1627-1704 بعد أكثر من مائتي سنة قرناً والذي قال " إذا كنا نؤمن بقدرة الله في الطبيعة فأولى أن نؤمن بعنايته في تاريخ الإنسان".

مثلت العناية الإلهية طيلة فترة سيادتها واستمرارها بلسماً مخففاً لحن الكثيرين، فقد ظلت تبعث الأمل في نفوس اليهود إبان محنتهم وشتاتهم بالعودة إلى أرض الميعاد، كما أحييت الأمل في نفوس رجال الدين حينما وجهت الانتقادات للمسيحية بأنها سبب بلاء الإمبراطورية الرومانية، وحتى لدى المسلمين حين نجد في بعض الأحيان أحاديثاً بغض النظر عما إذا كانت صحيحة أو ضعيفة تبين حتمية التاريخ والفعل الإنساني بتقرير الله المسبق لمصيره كالحديث القائل "قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء" و"كل ميسر لما خلق له"، "الشقي من شقى في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه"¹³.

الاتجاه العقلي في تأويل التاريخ: كان أكبر رد على نظرية العناية الإلهية هي نظرية التقدم التي جاء بها فولتير¹⁴ وكوندورسيه اللذان ركزا على تاريخ العقل البشري وعزفا عن سرد الأحداث الخاصة بالحروب وتاريخ الحكام لأنها تمثل أمورا مألوفة في التاريخ وهي بالنسبة للتاريخ كالأمتعة بالنسبة للجندي تمثل عائقا له¹⁵، فكان بذلك منتجا للفلسفة الأولى للتاريخ بمحاولة اقتفاء التعليل الطبيعي في تطور العقل البشري ونبد التفاسير الخارقة للطبيعة والتخلي عنها.

إن فولتير كان من أشد المعارضين لفكرة بناء التاريخ على أساس ما جاء في قصص العهد القديم وانتقد بشدة القديس أغسطين الذي حصر العناية الإلهية في بني إسرائيل دون غيرهم من الشعوب وأكد إيمانه بوجود عناية إلهية شاملة¹⁶، إن دعاة نظرية التطور المستند إلى الفعل البشري قد جعلوا من مسار التاريخ خطا مستقيما متصاعدا باستمرار في حين نجد التاريخ مليئا بالأحداث التي مثلت انتكاسات حقيقية في هذا المسار، وليس أدل على ذلك ما جاءت به نظرية التعاقب الدوري للحضارات التي يعتبر ابن خلدون رائدا لها، وبين أن كل حضارة تمر بمراحل أساسية ثلاثة وهي الشباب والشيخوخة ثم الهرم والأفول أو الازدهار، فكم من الدول عرفت تقدما وعظمة وقوة امتازت نتيجة لما يصيبه أهلها من الترف الذي يرى بن خلدون بأنه مظهر من مظاهر التقدم والحضارة في نفس الوقت سبب مهم من أسباب السقوط والانحيار والتي مرت بنفس المراحل والظروف والأسباب المؤدية للسقوط.

هذا ما يسمى أيضا بالتكاثر المادي الذي يرى فيه عبد الحليم عويس حفرة تقع فيها الحضارات ويعطينا مثلا عن ذلك أهل الأندلس الذين لم يكتفوا بنا تضمه أرضهم فراحوا

يستوردون وسائل البناء الفخم من اليونان وإيطاليا وإفريقية وكل أنواع مواد الزينة من ذهب وفضة وجواهر وعرفوا كيف يققون أموالهم على فنون المعيشة إلى حد لم يصل إليه إلا قليل من الأمم فكان ذلك سبب من أسباب ضياع الأندلس المفقود¹⁷.

ولنا في تاريخنا العربي الإسلامي أمثلة أخر فنجد دولة المرابطين التي دانت لها رقعة واسعة من إفريقية وبلاد الأندلس قد ضعفت وسقطت نتيجة لضعف القيادة العليا للبلاد أي منذ تولي علي يوسف بن تاشفين الحكم واستبداد الأمراء فيما يورده المراكشي بقوله ((...فظهرت في بلاده مناكر كثيرة وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد وانتهاوا في ذلك إلى التصريح فصار كل منهم يصرح بأنه خير من علي¹⁸ أمير المسلمين وأحق بالأمر منه¹⁹، أضف إلى ذلك الخلاف المحتدم على السلطة بين إبراهيم بن تاشفين وعمه إسحاق بن علي وتخاذل الجند وتخليهم عن روح التقشف والجهاد التي تربوا في مهادها لتأثرهم بحياة الترف الاندلسية²⁰، ثم دولة الموحدين التي قامت على أنقاضها فاجتهد قادتها إلى أن بلغت ذروة القوة والمجد بما شهدته من امتداد شمل بلاد المغرب من برقة شرقا إلى المغرب الأقصى غربا وبلاد الأندلس ما لبثت أن تعرضت لنفس مسببات الزوال من ترف ونفور من ساحات الوغى وإهمال السلطة الجيش الذي يعتبر قوة الصدام لدى الدولة فلم يعد بعض أفرادها يسل سيفا من غمده فكانت موقعة العقاب بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير وعجلت بنهايتها فتظهر على أنقاضها دويلات انطبقت عليها نفس الأسباب التي أدت إلى زوالها.

إن "فولتير" ودعاة نظرية التقدم حينما وصفوا مسار التاريخ البشري بالمتصاعد ربما قصدوا التطور الفكري الذي ورغم انهيار الدول والحضارات فإن الأفكار والعلوم والنظم الاجتماعية تطعم وتتطور، وهم يوافقون في ذلك ما ذهب إليه ابن خلدون في أن المجتمعات الإنسانية ذاتها تتقدم من حالة التأخر والبدائية إلى التحضر والمدنية²¹ مروراً بمجموعة من المراحل تختلف زمنياً من مجتمع لآخر وأن المرحلة اللاحقة أحسن وأرقى من التي سبقتها، فاليابان التي حققت في ما يقارب نصف قرن نهضة لم يحققها الغرب إلا في قرون لم تقض الحرب العالمية الأولى والثانية على تطوره ربما عطلته أو كبحتة بشكل مؤقت لكنها لم تقض عليه، ففي وقت وجيز نهض هذا العملاق ليقارع من جديد أكبر القوى الاقتصادية وهي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي الذي انهار لتكمل روسيا وريثته المشوار وتعود من جديد إلى مكانتها كأكبر منافس للوم أ، أي أن المرحلة السابقة حتى ولو كانت نهاية لهذه الدولة أو المجتمع فإنها تكون قد هيئت الفرصة والأرضية لقيام مرحلة أرقى منها، ويستند التنويريون في مذهبهم هذا على نظرية التطور البيولوجي الذي شهدته الكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان الذي يمثل أرقى مراحل التطور البيولوجي ليقود بقية المخلوقات²² وأن تقدم الإنسان المستمر متضمن في الطبيعة.

أما هيغل²³ صاحب نظرية أو فكرة العقل يحكم التاريخ فيرى بأن تاريخ العالم هو مسار تكافح فيه الروح لكي تصل إلى الوعي بذاتها -أي تكون حرة- ومن ثم فالتاريخ ماهو إلا تقدم الوعي بالحرية، وكل مرحلة من مراحل سيره تمثل درجة معينة من درجات الحرية²⁴، لكننا من جهة أخرى نجد متفقا مع ماركس في أن أفعال الناس إنما تصدر عن حاجاتهم وانفعالاتهم ومصالحهم الخاصة والتي يراها بأنها المصدر الوحيد للسلوك وبهذا يكون

الإنسان هو المسئول عن توجيه مسار التاريخ، فيثني على من قدموا الخدمات الجليلة لأوطانهم ولل البشرية ويدين من جرّوا على البشرية وأوطانهم النكبات والشُرور، ورغم ذلك فهو يرى بأن المنفعة الخاصة للأشخاص أو الحاجات الجزئية هي العامل الذي يخرج المبادئ إلى حيز الوجود وتحقق على أرض الواقع وهنا ندرك نوعا من التناقض مع الذات لدى هيجل حين يرد مسار التاريخ للعناية الإلهية ثم إلى الأشخاص من خلال تحقيق رغباتهم .

الاتجاه المادي في تفسير التاريخ:

إن ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات هو التطور المستمر على مستوى الفكر والانجازات منذ أن وجد على سطح البسيطة خلافا لباقي المخلوقات التي تتصرف بالغريزة، ولم تشهد أي تطور في غمطها المعيشي والسلوكي ومن أمثلة ذلك النحل الذي يبني خليته بشكل هندسي رائع ودقيق لكن حالته الآنية هي نفسها التي كانت منذ ملايين السنين لان الله هو الذي أعطاه تلك القدرة دون أن يكون له فيها اختيار -وهذا وفقا للآية الكريمة "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا".²⁵ والمقصود بقوله: وأوحى ربك إلى النحل أي ألهمه، والمراد بالإلهام أن الله قرر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة، من بناء للبيوت المسدسة من أضلاع متساوية دون وسائل قياس، وهذا ما يبين لنا تدخل الله في توجيه الحياة الحيوانية متلما تدخّل في توجيه الكثير من الأحداث التي غيرت مجرى التاريخ كإيجائه إلى أم موسى بوضعه في التابوت وإلقائه في اليم وطمأننتها في نفس الوقت بعدم الخوف عليه ورده إليها مستقبلا.

مرّ الإنسان بمراحل تطورية عديدة بداية بمرحلة الشيوعية البدائية التي تقاسم فيها أفراد المجتمع الجهد والعمل فانعدم فيه النظام السياسي الواضح المعالم وباكتشافه للمعادن وعلى رأسها البرونز والحديد وتطور الحرف ظهر تقسيم جديد للعمل أكثر تعقيدا فأصبح صانعا مخالفا بذلك لجنس الحيوان، لكن وبمرور الزمن أحدثت هذه الطفرة نفس اختلالات اجتماعية عميقة انتهت إلى ظهور المجتمعات الطبقية والتي يفسر ماركس التاريخ على أساسها، أي تفسيراً مادياً نجد أسبابه في العامل الاقتصادي، فعلى عكس المؤرخين الذين يجدون للحادثة التاريخية مجموعة من العلل والأسباب بعد دراستها دراسة شاملة فإنه يحصرها في سبب واحد هو الصراع بين الطبقات الاجتماعية، أي أن لّبه هو العمل والإنتاج وهذا ما يتجلى من خلال مقولته أن طرق إنتاج احتياجات الحياة المادية تكيف المجرى الاجتماعي والسياسي والروحي بصفة عامة²⁶، وعلى عكس المؤرخ الذي يعطي للأحداث تعليلاً تجريبياً بعدياً فإننا نجد لدى ماركس وفلاسفة التاريخ عموماً تأملياً قبلياً فيوجهون أحداث التاريخ كله لخدمة منظروهم في حل مشكلة طارئة.

إن ماركس يفسر كل عمل إنساني تفسيراً مادياً غائياً فحتى الدوافع السيكولوجية حسب تدعيمها من الباطن الأحوال المادية، فالناس يصيغون تاريخهم الخاص مهما تكون نتيجته وذلك من حيث أن كل فرد يجري وراء غايته المرغوبة شعورياً²⁷، ويرى ماركس وأتباعه أن العامل الاقتصادي هو الأكثر فعالية ضمن الأنظمة الاجتماعية وهو السبب الرئيس فيما عرفت البشرية من حروب وصراعات كالحروب الصليبية وحركة الإصلاح الديني وقيام البروتستانتية والثورة الأمريكية والثورة الفرنسية والثورات القومية الانفصالية في أوروبا سنة 1830 و1848م. وبما أن العامل الاقتصادي يقع على مستويين مختلفين أي طبقتين اجتماعيتين

متمايزتين فقد نظّر كارل ماركس بأن سجل التاريخ هو صراع بين الطبقات المختلفة في المجتمع.

الخلاصة:

لقد ميز الله الإنسان عن باقي المخلوقات بالعقل والتمييز فجعله حرا في اختيار أفعاله وفي نفس الوقت فهو مسئول عن نتائجها، لكن كل مؤمن معتقد بوجود خالق للكون يدرك بأن الله يشمل برعايته وعنايته هذا الكون وما يحتويه، وهذا ما توصل إليه الفيلسوف الألماني كانط بنظريته التي وفق من خلالها بين العقل والعناية الإلهية في صناعة التاريخ، إذ يرى بأن الإنسان شرير بطبعة تصدر أفعاله عن طمع وغرور وحب للذات، فكان لزاما أن يصطدم بمطامع ومصالح الآخرين، الأمر الذي أدى عبر التاريخ الطويل إلى المنازعات والحروب الإقليمية والعالمية.

لم تندلع الحربان العالميتان الأولى والثانية نتيجة لتصادم وتداخل المصالح الدولية؟ ألم تكن الحرب الكونية الثانية نتيجة لمطامع ألمانية في استرجاع مصالحها المتمثلة في ممر وميناء دانزيغ؟ ألم يهدد نابليون بونابرت أوروبا كلها وأجزاء أخرى من العالم لإرضاء غروره بإقامة إمبراطورية فرنسية؟ ألم تتكرر نفس القضية مع أدولف هتلر حين رهن أمن وسلام العالم مقابل تحقيق مطامح ناتجة عن غرور وعقدة عظمة -الرايخ الألماني-؟.

ويرى كانط بأن الإنسان رغم ما يقوم به من أعمال شريرة وحتى الحروب هي وسيلة للطبيعة-الله- لتحفيز ودفع الإنسان نحو التقدم، نعم فالحروب رغم ما تؤدي إليه من

مآسي عظيمة كالحرب العالمية الأولى التي أدت الى قتل ما يزيد عن عشرة ملايين نسمة والثانية التي أدت إلى وفاة أكثر من خمسين مليون نسمة ناهيك عن المشردين والمعوقين والأيتام والأرامل إلا أنهما دفعتا البشرية نحو التقدم المادي والعلمي بشكل كبير فتطور الطيران والملاحة ووسائل النقل بشكل عام وظهرت أدوية كثيرة قضت على أمراض كانت مستعصية في وقت سابق.

كما يرى بأن الإنسان مهما يبدو له أنه متحرر في القيام بأفعاله ويرى بأن الحروب شر له إلا أن هناك حكمة كبيرة من وراء ذلك وهي الدفع بالإنسان إلى الابتكار وتحريك نوازع البحث عن الأحسن فالحروب مثلاً تؤدي إلى تسارع الاختراعات التي قد تضربه وتهدد مستقبله لكن وكنّا نتاج جانبي لذلك تؤدي إلى ظهور اختراعات تقلل من شقائه وتعبه وتوفر له الرفاه .

كما أن الإنسان الذي يرى مصلحته في الأمن والاستقرار والابتعاد عن الحروب رغم أنها من صنعه لا يدرك غاية الطبيعة من ذلك ألا وهي استمرار ونماء وتطور العنصر البشري، فنخلص للقول بأن الإنسان يتجه إلى تحقيق غاياته وأهدافه لكنه في نفس الوقت يتجه مع بني جنسه إلى تحقيق مشيئة الله المبتغاة من وجوده.

الإحالات:

- 1- المقدمة دار الفكر العربي للطباعة و النشر و التوزيع لبنان ط1 2003 ص9
- 2- حسين فوري النجار، التاريخ والسير، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة -مصر- 1974 م، ص10
- 3- سورة الانفال، آية 25.

- 4- أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية-مصر-1975م، ص166.
- 5- رأفت غنيمي الشيخ —، فلسفة التاريخ، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر 1987-1988م، ص83، انظر أيضا أحمد محمود صبحي، المرجع نفسه، ص167.
- 6- أحمد محمود صبحي، المرجع نفسه، ص168.
- 7- رأفت غنيمي الشيخ —، المرجع السابق، ص83، أحمد محمود صبحي المرجع السابق، ص168.
- 8- حسين فوزي النجار، المرجع السابق، ص71.
- 9- أحمد محمود صبحي، المرجع السابق، ص170.
- 10- ينظر عبد الباري محمد داوود، الارادة عند المعتزلة والاشاعرة -دراسة فلسفية اسلامية- دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، مصر 1992 ، ص53-54.
- 11- أحمد محمود صبحي، المرجع السابق، ص170.
- 12- رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص143.
- 13- محمود محمد صبحي، المرجع السابق، ص336.
- 14- هو فرانسوا ماري اروي دو فولتير من مواليد باريس العاصمة الفرنسية سنة 1694 ممن اب مسجل للعقود وأو ارستقراطية النسب وقد ماتت وهي تلده فلم تره البتة ،عرف بحجته ونقاشه في الامور اللاهوتية ،عاصر فترة حكم لويس 14 ولويس 15 الذي سجنه بالباستيل سنة 1717 م لمدة تقارب السنة ، هو صاحب مسرحية- أوديب -التي هاجم من خلالها رجال الدين الذين رأى فيهم خارجين عن المسار المخول لهم، ونتيجة لاستمرار مهاجمته للطبقة الارستقراطية فقد دخل الباستيل ثانية ليختار منفاه نحو انجلترا سنة 1726م ونتيجة لاعجابه بالبلد فقد ألف كتابه رسائل عن الامة الانجليزية-،امتاز بحدة احساسه وتشاؤمه فقد كتب الى الماركيز دي فلوريان سنة 1770 قائلا ((إن نهاية الحياة كئيبة ومنتصفها لا يساوي شيئاً وبدايتها مضحكة)) انظر اندري كريستون، فولتير-حياته -آثاره -فلسفته، ط2، ترجمة صباح محي الدين، منشورات عويدات، باريس-لبنان 1984م، ص5 وما يليها.
- 15- رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص107.

- 16- نفسه، ص 111.
- 17- عبد الحليم عويس، التكاثر المادي وأثره في سقوط الاندلس، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة 1994، ص 9
- 18- المقصود هنا علي الأمير المرابطي .
- 19- المراكشي (أبي محمد عبد الواحد بن علي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1426هـ/2006م، ص 177.
- 20- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس -عصر المرابطين والموحدين- ط1، مكتبة الخانجي، مصر 1980، ص 43.
- 21- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 465 وما يليها.
- 22- انظر رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 98-99.
- 23- هو وليهلم فريديريك هيجل ولد في 27 أوت 1770م بشتوتغارت الألمانية درس اللاهوت بمدينة توبنجن وهذا ما أثر في شخصيته وتكوينه الى جانب الاحداث التي عاصرها مثل أحداث الثورة الفرنسية التي حملت شعار -حرية-مساواة -إنهاء، كما عايش دخول نابليون بونابرت الى مدينة برلين العاصمة البروسية والإرهاصات الاولى لتوحيد الامارات الألمانية التي تجاوز عددها الثلاثمائة.
- 24- رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 144.
- 25- سورة النحل، الآية 69.
- 26- انظر رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 165.
- 27- رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 166.